

128322 - هل من الممكن أن يسمع الأحياء ما يدور للموتى في قبورهم ؟

السؤال

هل يمكن للأحياء سماع أصوات الموتى في قبورهم ، سواء كانوا معذبين ، أو منعمين ؟ لأنه سمع أن هذه القدرة هي المرحلة الأولى لكي يصبح الإنسان من الأولياء الصالحين .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

ينتقل الميت بموته إلى عالم " البرزخ " ، وهو عالم آخر غير الذي قضى عمره فيه ، وهذا العالم الغيبي ليس لأحد أن يثبت فيه شيئاً ، أو ينفيه ، إلا بدليل من الكتاب والسنة .

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة تثبت تكلم " الميت " وهو محمول على الأكتاف لدفنه ، وأيضاً وهو في قبره ، وثبت في تلك الأحاديث وغيرها أن الأحياء لا يسمعون ذلك الكلام الذي قاله الميت ، أما الموضع الأول فقد استثنى النبي صلى الله عليه وسلم " الإنس " من السماع ، وأما الموضع الثاني : فقد استثنى " الإنس والجن " .

أ. الموضع الأول :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِمُونِي قَدِمُونِي ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا ، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ) .

رواه البخاري (1314) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - :

قوله في آخر الحديث (يسمع صوتها كل شيء) : دال على أن ذلك بلسان القال ، لا بلسان الحال .

" فتح الباري " (3 / 185) .

وقال العيني - رحمه الله - :

الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ) .

رواه مسلم (2868) .

ب. عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدَّ وَجَبَتْ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ : (يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا) .

رواه البخاري (1309) ومسلم (2769) .

وجبت الشمس : غربت .

والحديث رواه ابن حبان (394 / 7) وبؤب عليه بقوله : " ذكر الإخبار بأن المصطفى صلى الله عليه وسلم أسمع أصوات الكفرة حيث عذبت في قبورها " .

وفي عدم سماع الإنسان في كلا الموضوعين حكم جليلة .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - :

قوله : (إلا الإنسان) : يعني : أنه لا يسمع هذا الصياح ، وذلك لحكم عظيمة ؛ منها :

أولاً : ما أشار إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر) .

ثانياً : أن في إخفاء ذلك سترًا للميت .

ثالثاً : أن فيه عدم إزعاج لأهله ؛ لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يعذب ويصيح : لم يستقر لهم قرار .

رابعاً : عدم تخجيل أهله ؛ لأن الناس يقولون : هذا ولدكم ! هذا أبوكم ! هذا أخوكم ! وما أشبه ذلك .

خامساً : أننا قد نهلك ؛ لأنها صيحة ليست هينة ، بل صيحة قد توجب أن تسقط القلوب من معاليقها ، فيموت الإنسان أو يغشى عليه .

سادساً : لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذبين : لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة ، لا من باب الإيمان بالغيب ، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان ؛ لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعاً ؛ لكن إذا كان غائباً عنهم ، ولم يعلموا به إلا عن طريق الخبر : صار من باب الإيمان بالغيب .

" مجموع فتاوى الشيخ العثيمين " (8 / 482 ، 483) .

ثالثاً:

أما من يزعم أنه يستطيع سماع الأموات في قبورهم ، وأنه يراهم ، ويتحدث معهم : فهو يكذب في ذلك ، أو مُلبَّس عليه . وإنما يرى الشياطين تتمثل له بصورة الأموات ، أو تخاطبه بأصواتها ، وتلبس عليه ، وهو يلبس على الناس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطابٍ يسمعه ، وشخصٍ يراه ، وتصرفٍ عجيب ، ما يظن أنه من الميت ، وقد يكون من الجن والشياطين ، مثل أن يرى القبر قد انشق ، وخرج منه الميت وكلمه وعانقه ، وهذا يُرى عند قبور الأنبياء وغيرهم ، وإنما هو شيطان ؛ فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ، ويدعي أحدهم أنه النبي فلان ، أو الشيخ فلان ، ويكون كاذباً في ذلك ، وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره ، وهي كثيرة جداً ، والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور ، أو النبي أو الصالح وغيرهما ، والمؤمن يعلم أنه شيطان ، ويتبين ذلك بأمور :

أحدها : أن يقرأ آية الكرسي بصدق ، فإذا قرأها : تغيب ذلك الشخص ، أو ساخ في الأرض ، أو احتجب ، ولو كان رجلاً صالحاً أو ملكاً أو جنياً مؤمناً : لم تضره آية الكرسي ، وإنما تضر الشياطين ، كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما قال له الجني : اقرأ آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك فإنه لا يزال عليك من الله حافظٌ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (صدقك وهو كذوب) .

ومنها : أن يستعيز بالله من الشياطين .

ومنها : أن يستعيز بالعوذ الشرعية ...

والمقصود هنا : أن من أعظم أسباب ضلال المشركين ما يرونه أو يسمعوناه عند الأوثان كإخبار عن غائب ، أو أمر يتضمن قضاء حاجة ، ونحو ذلك ، فإذا شاهد أحدهم القبر انشق ، وخرج منه شيخ بهي : عانقه ، أو كلمه : ظن أن ذلك هو النبي المقبور ، أو الشيخ المقبور ، والقبر لم ينشق ؛ وإنما الشيطان ممثّل له ذلك ، كما يمثل لأحدهم أن الحائط انشق ، وأنه خرج منه صورة إنسان ، ويكون هو الشيطان تمثّل له في صورة إنسان ، وأراه أنه خرج من الحائط .

" مجموع الفتاوى " (1 / 168 - 178) باختصار .

والله أعلم